Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في "الشطار" راح يتكسّر، ولا يبالي بالتتابع أو التعاقب. فالكاتب صار يختار من الذاكرة أشخاصاً وأحداثاً يلتقطها من تيارٍ تدفق وانتهى، ليكتب عنها فصولاً مقطعة الأوصال، مبتُوتَةَ العُرَى، مكسّراً قيود السرد، غير عابئ بالزمن الذي أمسى ذا وقْعٍ رخيّ عليه، بعد أن صار يعمل عملاً يؤمّن فيه قوْته. فهل نستطيع أن نزعم أن تفكك عرى الحبكة في "الشطار" يعبر عن تفكك أوصال المجتمع المدني الذي راح يتطوّر في طنجة بعد استقلال المغرب عام ١٩٥٦؟

ويبقى خيط أخير في هذا النسيج السجادي، هو الخيط السياسي، فقد سجّلت الرواية، وربما بأمانة وواقعية، انتفاضة ٣٠ أيار عام ١٩٥٢ التي طالب فيها الناس بالاستقلال، كما أرخت انقلاب الناس على الباشا في العنوان (حبن يفر السادة يموت العبيد). وقد كان الباشا عميلاً للاستعمار الإسباني في طنجة.

وإذا كان هذا المظهر يمثل تفاعلاً للنصّ مع التاريخ المعاصر، فإن تفاعلات أخرى كثيرة قد برزت في هذه الرواية، فممّا يُلفت الانتباه هنا، ذلك التعبير الحي الصادق عن مناخ مدينة (طنجة) التي كان سكانها يتمتعون بجواز سفر دولي تعبيراً عن وضعها الدولي الفريد، إذ التقى فيها أناس من جنسيات مختلفة، فمثّلت بينة لتزاوج ثقافات متنوعة قديمة وحديثة، محلية وعالمية، شعبية وفوقية. وقد عبّر الكاتب عن ذلك من خلال المراوحة بين الواقع والحُلْم، واليومي والأسطوري، في نسيج يشعر الدارس أن الكاتب الذي نسجه قد ترك فسحة بينه وبين الأحداث، مكنته من النظر من عل، فاختار من الصورة ما يصلح لبناء جُسّدت فيه اللحظة العابرة من خلال مخيال وذاكرة تناوبا على البناء والتشكيل، وهما إذْ نجحا في إحداث متعة جيدة في (الخبز الحافي) فإن المتعة ذاتها قد هبطت درجتها كثيراً في (الشطار). ولكن القسمين معا خلّفا لنا صورة كاتب صعلوك أيْهظتْه تعاسته، وقهره الجوع وأحرقه الحرمان، فراح دخان روحه المعطوبة يتصاعد بين سطور هذا العمل.. كما خلّف لنا القسمان صورة لمدينة استحالت من حال إلى حال، ما بين أربعينيات القرن العشرين وسبعينياته. وهي مدينة (طنجة) الساحلية القابعة على نقطة عند لقاء مياه المتوسط بالأطلسي، فلا غرو أن تكون بؤرة لالتقاء الثقافات ومحورا للاختلاف والحوار والحرية معا. فكما كانت "طنجة" مركز العالم عند هذا الراوي، صارت محور الرواية ومركزها الأهم، بكل ما فيها من شوارع وساحات وحانات ومقاهٍ وخمّارات و(بورديلات) وفنادق ومدارس وأشياء وأشخاص، وهذا كله يتيح لنا القول أخيرا: إن المدينة التي تقف وراء أشباح روايات لم تولَد، أو قامات روايات اكتملت،